

قصة العراب الذي خان رفاقه في المافيا الصقلية

توماسو بوشيتا من الولاء إلى الخيانة في فيلمين



بوشيتا في «الخائن» كشاهد ضد رفاقه



في قبضة الشرطة الإيطالية



«أبونا الروحي» لحظات نادرة من الهدوء



أفلام «الأب الروحي» (العراب) لفرنسيس فورد كوبولا

في قبضة الشرطة الإيطالية

ويصبح بالتالي ممزقا بين الشعور بالذنب وفي الوقت نفسه، الرغبة في الاستمرار في تحقيق انتقامه الخاص من المافيا.. بعد أن «فقدت الشرف» كما يقول أثناء الإدلاء بشهادته أمام القضاة وأمام خصومه من المافيا. لكن رغم المطاردة وعمليات العنف التي طالت أفراد عائلته إلا أن بوشيتا نفسه توفي عام 2000 عن 71 عاما متأثرا بإصابته بالسرطان.

من أبرز معالم فيلم «الخائن» أداء الممثل الإيطالي الفذ بييرفرانشيسكو فايفينو في دور بوشيتا، فهو يتمتع بقوة الشخصية والحضور الكبير، والكاريزما، يبدو حينا شديد القوة والصلابة والاعتزاز بالنفس، وحينا آخر، يميل إلى الصمت والغموض مع مسحة من الحزن الداخلي والكبرياء. ويمكن القول أيضا إن تجسيد الممثل لشخصية بوشيتا جاء أفضل كثيرا من حضور بوشيتا الحقيقي في الفيلم التسجيلي!

كان من المنتظر أن يعيد ماركو بيلوكيو بناء فيلمه بحيث يضيف عليه لمساته الخاصة الساحرة، التي تبنت على سبيل المثال في معالجته لشخصية الابن غير الشرعي

ما يمكن أن يثير التساؤل حول الفيلمين: أنهما يُظهران بوشيتا «ضحية» على نحو ما، رغم أنه مارس القتل بديه، ففي لحظة ما مع استمرار السرد يشعر المتفرج بنوع من التعاطف معه. ومن النقاط التي حظيت باهتمام الفيلمين، تحول بوشيتا الدرامي ضد المافيا، ففي يعتبر فيلم «الخائن» أن قرار بوشيتا بالشهادة ضد رفاقه القدامى جاء، لأنه أراد أن يحتفظ بصورة الشخصية القادرة المهيبه التي يخشاها الجميع بعد أن كان قد عاش طويلا في الظل، يميل الفيلم التسجيلي إلى أن تمرده جاء بعد مقتل ولديه ورغبته في حماية أسرته من الخطر، وهو ما تقوله زوجته. ولكن من يدي؟ فموقف بوشيتا سيظل يحيطه الكثير من الغموض.

«أبونا الروحي» لحظات نادرة من الهدوء

ثم تتحول إلى صداقة ورفقة إنسانية رائعة، بحيث لا يقبل بوشيتا قط بالإدلاء باعتراقاته الغزيرة سوى لخاله الكوني وحده. ولأن الكوني كان قاضيا نزيها حقيقيا رفض التستر على الشخصيات السياسية التي أدلى بوشيتا بأسمائها، مشيرا إلى علاقتها بالمافيا، كان مصيره الاغتيال بتفجير سيارته وهو مشهد مثير صوره بيلوكيو في فيلمه من داخل السيارة قبل وأثناء انفجارها وتحولها إلى قطع وأشلاء.

ذكرت أنه من حسن حظ المخرجين أنهما عثرا على «كريستينا»، التي لم تظهر قط في أي شريط مصور من قبل بل ومازالت تعيش في الخفاء لأن حياتها مازالت مهددة حتى يومنا هذا، «فالمافيا لا تنسى قط» كما يتردد في الفيلم. لم توافق كريستينا فقط على الظهور وتقديم خلاصة السنين الطويلة التي قضتها مع بوشيتا، بل منحت مخرجي الفيلم أيضا 14 شريط فيديو منزلي كانت بمثابة كنز بصري، فهي تتضمن الكثير من اللقطات الخاصة في حياة بوشيتا في علاقة بأسرته؛ منها لقطات له في ملابس سائنا كلون، وأخرى وهو يطهو الطعام، أو وهو يداعب أولاده أو وهو يتحدث تليفونيا، أو يجلس في المطاعم مع أفراد أسرته، ثم يضطرون للمغادرة فجأة بسرعة بعد أن تلاحظ ابنة بوشيتا أن هناك عينا غريبة تراقبهم.

أصبحت كريستينا الشخصية المحورية في الفيلم، وهي تروي وتقف أمام الكاميرا وتقود فريق الفيلم إلى المنازل التي عاشت فيها خفية مع بوشيتا وغير ذلك، إلا أن اهتمام بوشيتا هو محور الاهتمام، وهو يروي بصوته في بداية الفيلم ويتكرر صوته على مقاطع كثيرة من الفيلم (ربما من خلال اعترافاته المسجلة للشرطة الأمريكية) الكثير من التفاصيل من حياته وعلاقته بالمافيا. ومن يشاهد الفيلم وهو ينتقل بين مواد الأرشيف، والصور المباشرة، وشهادات الذين عاصروا الأحداث، بل والكثير من اللقطات المسجلة مباشرة من داخل قاعات المحكمة، والتسجيلات الصوتية، والأفلام المنزلية الخاصة، لابد أن يدرك مدى الجهد الكبير الذي بذل في جمع وترتيب تلك المادة وصياغتها في سياق درامي بديع، وكأنه يخضع لسيناريو خيالي، كما يشعر وكان أسرة بوشيتا كانت تسجل بالصوت والصورة وعينها على التاريخ، وعلى المستقبل الذي سيصبح مطلوبا فيه تقديم وعرض تلك الوثائق المصورة.

بوشيتا هو ذلك «البطل التراجيدي» الذي يفقد الكثير من أحبائه وأقاربه وأهله، بسببه وبسبب اختياراته،

ثم تتحول إلى صداقة ورفقة إنسانية رائعة، بحيث لا يقبل بوشيتا قط بالإدلاء باعتراقاته الغزيرة سوى لخاله الكوني وحده. ولأن الكوني كان قاضيا نزيها حقيقيا رفض التستر على الشخصيات السياسية التي أدلى بوشيتا بأسمائها، مشيرا إلى علاقتها بالمافيا، كان مصيره الاغتيال بتفجير سيارته وهو مشهد مثير صوره بيلوكيو في فيلمه من داخل السيارة قبل وأثناء انفجارها وتحولها إلى قطع وأشلاء.

عراب العالمين

أما الفيلم التسجيلي «أبونا الروحي» Our Godfather فهو نتاج جهد هائل من جانب مخرجيه اللذين خالفهما الحظ عندما تمكنوا من إقناع أرملة بوشيتا «كريستينا» أن تتحدث للمرة الأولى أمام الكاميرا، كما أقتعا بالحدث أيضا ولدي بوشيتا بعد أن كبر الآن. ولكن رغم مرور كل تلك السنين، مازال أحدهما يرفض الظهور بوجهه أمام الكاميرا، ولذلك نشاهده وهو يتحدث من زاوية تخفي وجهه.

لقد قتلت المافيا 12 شخصا من عائلة بوشيتا، منهم ولديه من زوجته الثانية، وشقيقه وزوج شقيقته وعمه، ومعظم هؤلاء لم تكن لهم أي علاقة بالمافيا أصلا. وكل هذه التفاصيل موقفة بشكل أو آخر في الفيلم، سواء من خلال الصور الفوتوغرافية أو الشرائط التسجيلية الإخبارية، أو من خلال شهادات الشهود، وهم كثيرون من بينهم أيضا عدد من الشرطيين والمحققين وقضاة التحقيق الإيطاليين وعدد من ضباط المباحث الفيدرالية الأمريكية ممن كلفوا بحماية بوشيتا وتأمينه على مدار الساعة داخل بيته، أو البيت الذي يقيم فيه (انتقلت أسرته في أميركا بين 20 منزلا) بعد أن منحه السلطات الأمريكية حق الحماية بعد أن أصبح شاهدا رئيسيا مهما ساعدهم في فك طلاسم الكثير من عمليات المافيا، التي وقعت على الأراضي الأمريكية، ومنها عملية استهداف سلسلة مطاعم البيتزا. وارتبط أحد هؤلاء الضباط



بما يكون وراء إنتاج الفيلمين أيضا الولع السينمائي القديم بقصص المافيا وما يحيط بها من بريق يجذب مشاهدي السينما، خاصة بعد النجاح الكبير الذي حققته ثلاثية

أفلام «الأب الروحي» (العراب) لفرنسيس فورد كوبولا

في أوائل السبعينات ذهب بوشيتا إلى البرازيل، وهناك تزوج من كريستينا، زوجته الثالثة الجميلة التي تصغره بـ 20 عامًا، ولكن الشرطة البرازيلية تعقلته (في زمن الديكتاتورية العسكرية في الثمانينات)، وتتهمة بالتجارة في المخدرات، كما تعتقل زوجته، وفي مشهد شديد الإثارة يربطون كريستينا بحبل طويل يتدلى من طائرة مروحية تطير في الجو، ومن مروحية أخرى تطير إلى جوارها، يرغمون بوشيتا على مشاهدة زوجته وهي تتدلى في الجو من الطائرة لا حول لها ولا قوة، وذلك بغرض دفعه إلى تقديم ما يطلبونه من اعترافات.

ومن أفضل خيوط الفيلم علاقة الثقة التي تولد بين بوشيتا وقاضي التحقيق «جيوفاني فالكوني».



فيلمان ظهر هذا العام في وقت متقارب عن زعيم المافيا الشهير «توماسو بوشيتا»، الذي توفي قبل نحو عشرين عاما، الأول هو الفيلم الروائي «الخائن» للمخرج الإيطالي ماركو بيلوكيو، الذي عرض في مسابقة مهرجان كان ثم عرضه مهرجان لندن، والثاني الفيلم التسجيلي الطويل «أبونا الروحي»، الذي شهد مهرجان تورنتو عرضه العالمي الأول مؤخرا.

بناء متعرج، ينتقل بين الأزمنة، يبدأ من عام 1980، قبل أن يعود إلى الماضي، حيث بدأ الصبي توماسينو حياته عضوا في المافيا، ليقتل الفيلم بعد ذلك إلى المرحلة التالية في حياة بوشيتا.

وكما ينتقل الفيلم ويتأرجح بين الأزمنة، يظل ينتقل أيضا طوال الوقت، بين الأماكن المختلفة، من باليرمو في صقلية، إلى ريودي جانيرو في البرازيل، ومن روما، إلى نيويورك ثم إلى فلوريدا وغيرها من الأماكن التي انتقل بينها بوشيتا. فقد غادر صقلية بعد أن تفجر الصراع العنيف بين أجنحة المافيا بسبب تجارة المخدرات، وأصبح مستهدفا من جانب زعيم الجناح المتطرف داخل المافيا «توتو رينا»، خاصة بعد أن يأمر رينا بقتل ولدي بوشيتا في مشهد شديد العنف. وسيتم تسليم بوشيتا إلى الولايات المتحدة، التي ستقوم بترحيله ليواجه المحاكمة والسجن في إيطاليا قبل أن يقرر أن يشهد ضد المافيا.

هذا البناء لم يكن يمثل مشكلة أمام المشاهد لولا أن الفيلم يحتشد بعشرات الشخصيات التي تظهر أسماءها مكتوبة على الشاشة، كما تظهر التواريخ والشروح التي تشير إلى طبيعة تلك الشخصيات ودورها أو رتبته في المافيا، وهو ما يسبب ارتباكًا شديدًا للمشاهد، مع اتساع المساحة الزمنية التي تشمل أكثر من ثلاثين عاما من الأحداث، وطغيان الحوار الذي لا يكاد يتوقف لحظة واحدة، خاصة في المشاهد الطويلة التي تدور داخل قاعات المحكمة، حيث تتم محاكمة قيادات المافيا، وهي مشاهد رئيسية في الفيلم، وفيها يدلي بوشيتا بشهادته للمرة الأولى في تاريخ تلك العصبة من جانب أحد زعمائها البارزين، في مواجهات مباشرة عاصفة، تحفل بالعديد من الشائعات الفبحة والتهديدات التي يوجهونها إليه، فقد أصبح في نظرهم «الخائن» بعد أن كسر «عهد الشرف» الذي أقسم عليه.

كان من المنتظر أن يعيد ماركو بيلوكيو بناء فيلمه بحيث يضيف عليه لمساته الخاصة الساحرة، التي تبنت على سبيل المثال في معالجته لشخصية الابن غير الشرعي لديكتاتور إيطالي موسوليني في فيلمه البديع «النصر» (2009)، الذي كان يتضمن الكثير من الجوانب الإنسانية سواء في تكوين شخصية الابن الذي ظل الديكتاتور يتكلم وجوده، أو أمه التي تم التخلي بها، وهو ما يغيب بوضوح عن «الخائن» الذي يبدو هدفه الأساسي الالتزام بمسار الأحداث التاريخية دون أن يخلو تماما من بعض المشاهد المثيرة (ربما تكون مخفية)، ولكنها لا تخرج أيضا عن الاهتمام بالوصف الخارجي، الذي يتعلق بعنف المافيا وقسوة رجالها.

في أوائل السبعينات ذهب بوشيتا إلى البرازيل، وهناك تزوج من كريستينا، زوجته الثالثة الجميلة التي تصغره بـ 20 عامًا، ولكن الشرطة البرازيلية تعقلته (في زمن الديكتاتورية العسكرية في الثمانينات)، وتتهمة بالتجارة في المخدرات، كما تعتقل زوجته، وفي مشهد شديد الإثارة يربطون كريستينا بحبل طويل يتدلى من طائرة مروحية تطير في الجو، ومن مروحية أخرى تطير إلى جوارها، يرغمون بوشيتا على مشاهدة زوجته وهي تتدلى في الجو من الطائرة لا حول لها ولا قوة، وذلك بغرض دفعه إلى تقديم ما يطلبونه من اعترافات.

ومن أفضل خيوط الفيلم علاقة الثقة التي تولد بين بوشيتا وقاضي التحقيق «جيوفاني فالكوني».

بوشيتا هو ذلك «البطل التراجيدي» الذي يفقد الكثير من أحبائه وأقاربه وأهله، بسببه وبسبب اختياراته،



أمير العمري كاتب وناقد سينمائي مصري

يرجع الاهتمام الكبير بشخصية توماسو بوشيتا إلى الرغبة في تذكير العالم بذلك الماضي العنيف، الذي اجتاحت إيطاليا وانتقل منها إلى الولايات المتحدة، وهو عنف يعيد إنتاج نفسه حاليا على مستويات كثيرة مختلفة في العالم، وبدوافع مماثلة أساسها الرغبة في الاستحواذ والسيطرة وجني المال ولو عن طريق الإبتزاز، وهو ما نراه يحدث علاقة على أعلى المستويات في السياسة الأمريكية الحالية.

ربما يكون وراء إنتاج الفيلمين أيضا الولع السينمائي القديم بقصص المافيا وما يحيط بها من بريق يجذب مشاهدي السينما، خاصة بعد النجاح الكبير الذي حققته ثلاثية أفلام «الأب الروحي» (العراب) لفرنسيس فورد كوبولا، إلا أن الدافع الحقيقي ربما يكمن في جاذبية شخصية بوشيتا نفسه وغموضها باعتبارها شخصية تراجيدية، تحمل بذور دمارها في داخلها، وهو ما يغري أي فنان سينمائي بإعادة اكتشافها وتسلط الأضواء عليها من جميع الزوايا.

من أبرز معالم فيلم «الخائن» أداء الممثل الإيطالي الفذ بييرفرانشيسكو فايفينو في دور بوشيتا، فهو يتمتع بقوة الشخصية والحضور الكبير، والكاريزما

من المثير للدهشة ذلك التبادل الدهش بين الفيلمين، فبينما بدأ الفيلم الروائي «الخائن» The Traitor لماركو بيلوكيو، وهو أحد عمالقة الإخراج في السينما الإيطالية، (80 سنة) أقرب في صياغته وأسلوبه في السرد، إلى الفيلم التسجيلي. بدأ الفيلم التسجيلي «أبونا الروحي» Our Godfather أقرب إلى الفيلم الروائي، ويطلق على الفيلم أيضا «عراب العالمين»، كما كان يلقب بوشيتا كونه مارس عملياته القوية في العالم القديم (إيطاليا) والعالم الجديد (البرازيل والولايات المتحدة). وقد اشترك في إخراج هذا الفيلم التسجيلي البريطانيان ماركو فرانشيتي وأندرو ميير.

العراب والقاضي

«الخائن» دراسة بالكاميرا في شخصية رجل أخطأ مرتين في حياته، لذلك كان يتعين عليه أن يدفع الثمن أضعافا مضاعفة. لقد أخطأ عندما التحق بالمافيا (الكوسا نوسترا) وهو بعد صبي، أغوته فكرة الانتماء للجماعة القوية، والفكرة الرومانسية الأخرى الشائعة عن الصق والإخلاص والولاء والشرف وعدم التفريط في «الأخوة» تحت أي ظرف. ثم أخطأ مرة ثانية عندما قرر بعد أكثر من ثلاثين عاما من التحاقه بالمافيا، أن يتحول من زعيم مرموق داخل تلك المنظمة الإجرامية، إلى شاهد ضدها، أدت شهادته أمام المحاكم إلى الحكم بالسجن على أكثر من 400 من قياداتها وأعضائها البارزين، منهم من لا يزال يقضي عقوبة السجن مدى الحياة. كيف كان ذلك ممكنا، وما الذي غير هذه الشخصية التي مارست القتل والعنف (من الخمسينات إلى الثمانينات)، بحيث تنقلب تماما وتغير اتجاهها وتتنكر لماضيها؟ وما الذي ترتب على هذا التغيير الدرامي؟ وكيف عاش توماسو بوشيتا؟ هذه التساؤلات هي محور الفيلمين ولكن على مستويات مختلفة، ومن خلال أسلوبين مختلفين.

سيناريو فيلم «الخائن»، الذي اشترك في كتابته ثلاثة من الكتاب الإيطاليين إلى جانب المخرج (سيريرا على نهج السينما الإيطالية عموما)، يقوم على